

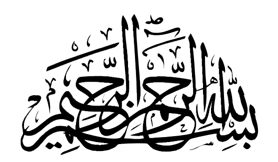
حسن الصفار

العمل التطوعي

في خدمة المجتمع



العمل
التطوعي
في خدمة المجتمع



للتواصل مع المؤلف

المملكة العربية السعودية ص. ب: 1322 القطيف 31911

هاتف: 8555210 3 966+ فاكس: 8512600 3 966+

الموقع على الإنترنت: www.saffar.org

البريد الإلكتروني: office@ saffar.org

العمل التطوعي

في خدمة المجتمع

حسن موسى الصفار



أطياف للنشر والتوزيع

هاتف/فاكس: ٨٥٤٩٥٤٥ (٣) ٩٦٦+

جوال: ٠٥٠٥٨٦٨٧٧١ - ٩٦٦+

القطيف - شارع القدس

ص.ب. ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١

المملكة العربية السعودية

E-mail: atyaf-pd@hotmail.com

ح حسن موسى الصفار، 1425هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الصفار، حسن موسى
العمل التطوعي في خدمة المجتمع. / حسن موسى الصفار. ـ
القطيف، 1425هـ
52 ص ؛ 14.5 × 21.5 سم
ردمك: 4-755-46-9960

1- الخدمة الاجتماعية أ. العنوان
ديوي 361 1425/6017
رقم الإيداع: 1425/6017
ردمك: 4-755-46-9960

الطبعة الأولى - 1425 هـ - 2004 م
الطبعة الثانية - 1426 هـ - 2005 م
الطبعة الثالثة - 1428 هـ - 2007 م

أطياف للنشر والتوزيع
هاتف/فاكس: ٨٥٤٩٥٤٥ (٣) ٩٦٦+
جوال: ٠٥٠٥٨٦٨٧٧١ - ٩٦٦+
القطيف - شارع القدس
ص.ب. ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١
المملكة العربية السعودية
E-mail: atyaf-pd@hotmail.com

الحمـــد لله رب العالمـــين. اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبـــارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبــــراهيم وآل إبـــراهيم، إنــــك حمـــيد مجـــيد.

المحتويات

تقديم

المجتمع في كل مرحلة من مسيرته يحتاج إلى ثقافة واعية هادية، تبصّره بواقعه، وتفتح أمامه آفاق الطموح والتطوير، وتعينه على مواجهة التحديات والصعاب.

ولكي تؤدي الثقافة دورها في بناء المجتمع، وتفعيل طاقاته، وشحذ هممه نحو التقدم، لا بد أن تتمتع بالمواصفات التالية:

- أن تكون أصيلة نابعة من قيم المجتمع الدينية الصحيحة.
- وأن تكون معاصرة تواكب تغييرات الحياة، وتطورات الفكر.
- وأن تنبثق عنها برامج عملية تستوعب حاجات المجتمع ومتطلباته.
- وأن تمتلك لغة التخاطب مع الناس في شرائحهم ومستوياتهم المختلفة واهتماماتهم المتعددة، دون الإغراق في التنظير التجريدي والمصطلحات التخصصية المتداول في الخطاب النخبوي، لأن التخاطب مع الجمهور يحتاج إلى أكبر قدر من الوضوح، ومعالجة قضايا الواقع المعاش.

ونخبة المجتمع الواعية من علماء وخطباء ومفكرين وأدباء، هم الجهة المسؤولة والمعنية بإنتاج وتوفير هذه الثقافة المطلوبة.

من هذا المنطلق وعلى هذا الصعيد يمارس سماحة الشيخ حسن الصفار حفظه الله عطاءه الثقافي الواعي عبر الكتابة والخطابة والحضور الاجتماعي المكثّف.

وهــــذه السلسلة من الكتيبات هي تحرير لبعض المحاضرات التي ألقاهـــا في مناســـبات مخـــتلفة، قام القسم الثقافي في مكتب سماحته بإعــــدادها للنــــشر، آملين أن تسهم في نشر الوعي، وتدوير الأفكار البناءة، والتنوير الثقافي للمجتمع.

راجـــين لسماحته من الباري عز وجل مزيداً من العطاء ودوام التوفيق والله هو المعطي والموفق.

العمل التطوعي
في خدمة المجتمع

تــواجه الإنسان في هذه الحياة مسؤوليات كبيرة تنتظم في عدة دوائــر، فهو مسؤول بالدرجة الأولى عن نفسه لتسيير شؤون حياته، وتــوفير متطلــباته الذاتية مادية ومعنوية، ثم هو مسؤول عن عائلته وأســرته، بأن يتكفل باحتياجاتهم ويرعى مصالحهم، وباعتباره جزءاً من مجتمعه ومحيطه، فهو معني بالشأن الاجتماعي العام، ولأنه ينتمي إلى الدائــرة الإنــسانية، فلا بد له من تحمل مسؤولياته على الصعيد الإنساني العالمي.

ولكــن هــل الإنسان قادرٌ ومؤهلٌ للقيام بهذه المسؤوليات في دوائرها المتعددة؟ وعلى جبهاتها المختلفة؟

نعم وبكل تأكيد فقد هيأه الله تعالى ليكون خليفته في الأرض، ومنحه قدرات عقلية ونفسية هائلة، يستطيع بها أن يسخّر إمكانات الحــياة والكون، وأن يحقق أضخم الإنجازات، ويؤدي أكبر الأعمال والمهــام، ولسنا بحاجة إلى أدلة وبراهين نظرية لإثبات هذه الحقيقة، لأنــنا نرى مصاديقها في الواقع الخارجي، فتاريخ البشرية في الماضي والحاضــر يحفل بشخصيات قيادية لامعة، قامت بأدوار عظيمة على مــستوى العــالم، وتجاوزت حدود ذواتها، وإطار عوائلها، ونطاق مجــتمعاتها، وأصبحت في موقع الريادة والتأثير على صعيد الإنسانية جمعاء والعالم كله.

فالإمكانــية والمؤهلات متوفرة لدى الإنسان لتحمل كل هذه المــسؤوليات، شرط الإدراك والوعي، وإرادة التصدي، وبذل الجهد

والنشاط، وهنا يتفاوت الناس، فهناك من يفتقد الوعي والإدراك حتى لمسؤوليته تجاه نفسه، ويقصّر في خدمة ذاته، ويصبح عبئاً وكلاًّ على الآخــرين يحمّلهم مشاكله، ويعتمد عليهم في معالجة قضاياه، وهناك من يتعاجز أو يعجز عن القيام بمهام أسرته وعائلته، لقصور في وعيه، أو تقــصير في حركته وأدائه، كما أن هناك من لا يبالي بواقع مجتمعه ولا دور لـــه في خدمته. وفي مقابل هذه الحالات توجد صور مشرقة ونمـــاذج رائعـــة، لأناس يمتلكون الوعي والإدراك لمسؤولياهم الذاتية والعائلـــية والاجتماعية والإنسانية، فيقومون بأدوار كبيرة، ويقدمون خدمات جليلة.

ويتحدث القرآن الكريم موازناً بين هاتين الصورتين المتناقضتين لمن يعجز حتى عن خدمة نفسه، ويكون عبئاً على غيره، ولمن يجسّد الفاعلـــية والحـــركة الدائبة بالاتجاه الصحيح، ساعياً لتوجيه الآخرين وقيادهم، يقول تعالى:

﴿وَضَـــرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدرُ عَلَى شَيْء وَهُـــوَ كَـــلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لاَ يَأْت بخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1].

أسباب العزوف:

وإذا كـــان تحمـــل المسؤولية ضمن دائرة الذات والعائلة أمراً يفـــرض نفـــسه علـــى الإنـــسان، لأن متطلبات الحياة الشخصية، والالتـــزامات العائلية، تضغط عليه بشكل مباشر، كما تنعكس عليه مردودات ونتائج حركته في هذا الاتجاه بصورة فورية، لذلك لا يكاد

(1) سورة النحل، الآية: 76.

يفلــت مــن دائرة هذه المسؤولية إلا الشاذ النادر، فإن المعادلة على العكس من ذلك تماماً فيما يتعلق بتحمل المسؤولية تجاه المجتمع، حيث لا ينبري ولا يتصدى لها إلا ثلة قليلة من الواعين المخلصين.

وتكمــن جملة من الأسباب وراء الظاهرة العامة للعزوف عن العمل في الخدمة الاجتماعية منها:

1. الاستغراق في الحالة الذاتية، فينصرف الإنسان إلى خدمة مصالحه الذاتية المباشرة، ولا يرى نفسه معنياً بخدمة مصالح الآخرين.
2. تعدد الاهتمامات والانشغالات وخاصة في هذا العصر، حيث لم تعــد الحياة ببساطة الماضي، ومحدودية آفاقه، فقد اتسعت دائرة المــستلزمات المعيــشية ووسائل الراحة والرفاه، وأصبحت تربية الأولاد ومــتابعة تعليمهم تأخذ وقتاً وجهداً كبيراً من المهتمين بمــستقبل أبنائهم، كما أن البرامج الإعلامية المتطورة عبر البث المباشــر، ووســائل الاتصالات المتقدمة كالإنترنت، تقتطع من أوقــات المنجذبين والمنشدين إليها الشيء الكثير.. وهكذا يعيش الإنــسان في دوامــة مــن الالتزامات والاهتمامات التي تصرفه وتشغله عن التوجه للعمل في ميادين خدمة المجتمع.
3. وتعترض طريق العمل في الخدمة الاجتماعية العديد من المعوقات والمثــبّطات في غالب بلدان ومجتمعات العالم الثالث، فالقوانين والأنظمة غير مشجعة، والروتين السائد يضاعف العناء والمشقة، والمواقــف الــسلبية التي يتخذها البعض من الناس تجاه العاملين تــسبب الإحــباط والانــزعاج.. بينما تتوفر أمام الراغبين في الخدمة العامة للمجتمعات المتقدمة، كل وسائل التشجيع وأجواء التقدير والدعم.

النتائج والمكاسب:

صـــحيح أن العمـــل التطوعي لخدمة المجتمع يأخذ من الإنسان وقتاً وجهداً قد يكون في حاجة إليه لشؤونه الذاتية، وأنه يحمّله أعباءً ومسؤوليات مرهقة، ويضعه في مواقف حرجة بعض الأحيان، إلا أن لـــه نـــتائج ومكاســـب عظيمة، إذا أدركها الإنسان استسهل كل الصعوبات، واستعذب كل المشاق.

أولاً: يحقق السعي في خدمة المجتمع وقضاء حوائج الناس، راحة نفـــسية وســـعادة معنوية كبيرة، ففي أعماق الإنسان ميول ونوازع خيّـــرة، وبين جنبيه ضمير أخلاقي حسّاس، وإذا ما أنجز الإنسان أي خدمـــة تطوعية، أنقذ بها محتاجاً، أو أعان ضعيفاً، أو ساعد مظلوماً، فـــإن ذلك يسعد ضميره، وينعش أحاسيسه النفسية، ويشعره بالكثير من السعادة واللذة الروحية.

ثانـــياً: العمـــل الاجتماعـــي ينمّي عند الإنسان قدرات ذهنية ومهـــارات ومؤهلات سلوكية، تزيد من نقاط قوة شخصيته، حيث يكـــسبه الخـــبرة والتجربة، ويجعله أكثر معرفة وإحاطة بواقع المجتمع الذي يعيش ضمنه، والظروف التي تكتنفه.

ثالـــثاً: وبمقـــدار ما يؤدي الإنسان من دور اجتماعي، يأخذ مـــوقفاً، ويـــنال مكانـــة، في وســـط المجتمع، وتتسع دائرة علاقاته وارتباطاته، وتظهر مواهبه وكفاءاته.

رابعاً: إن وجود مؤسسات الخدمة الاجتماعية، وإرساء قواعد التعاون والتكافل الاجتماعي، يوفر الاطمئنان في نفس الإنسان على مـــستقبله ومـــستقبل ذويـــه، حيث هو معرّض لحالات الضعف، وحدوث المشاكل والمخاطر، التي قد لا يستطيع مواجهتها بإمكانياته

الذاتية، فعمله وأمثاله هو الذي يصنع الضمانات لتوفير الدعم والمساندة، عند الحالات الطارئة لأبناء المجتمع.

ولعل هذا ما تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: **﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾**[1].

فإذا كنت مهتماً بمستقبل أبنائك الصغار من بعدك، فاجتهد في إقرار نظام تكافل اجتماعي، لحماية الأيتام، وخدمة مصالحهم، وذلك خير ضمانة لأطفالك، لو احتاجوا إلى الحماية والرعاية لا قدّر الله.

وبالمضمون نفسه نفهم ما قاله رسول الله ﷺ: «وتحنّنوا على أيتام الناس يُتحنّن على أيتامكم»[2]. فإضافة إلى الدور الغيبي، هناك الأثر الاجتماعي الواضح المتمثل في تكريس العادات والسنن الطيبة الحسنة.

خامساً: والإنسان المؤمن يدفعه إلى التطوع لخدمة الناس تطلعه إلى ثواب الله تعالى وجزائه، حيث تؤكد النصوص الدينية، على أن خدمة الناس والسعي في قضاء حوائجهم، هو من أفضل الأعمال التي تقرّب الإنسان إلى ربه، وتوجب له المزيد من ثوابه ورضوانه.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قضى لمؤمن حاجة قضى الله له حوائج كثيرة أدناها الجنة»[3].

وتؤكد نصوص كثيرة على أن مساعدة الناس وخدمتهم أرجح فضلاً عند الله تعالى من العبادات والنوافل، كالحديث المروي عنه ﷺ:

---

(1) سورة النساء، الآية: 9.

(2) الحر العاملي، محمد بن الحسن: وسائل الشيعة، ج 10، ص 313، حديث رقم 13494.

(3) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ج 71، ص 285.

«مـــن قضى لأخيه المؤمن حاجة كان كمن عبد الله دهراً»[1]، وعنه ﷺ: «مـــن مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهد في سبيل الله»[2].

وورد في حـــديث عـــن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «قضاء حاجـــة المؤمن أفضل من ألف حجة متقبلة بمناسكها وعتق ألف رقبة لوجه الله»[3].

التطوع ظاهرة إنسانية:

التطوع لغة: تفعّل من الطاعة. وهو ما تبرع به من ذات نفسه ممـــا لا يلزمه فرضه[4]. وفي الاصطلاح الشرعي: يطلق على الأعمال والعـــبادات الـــتي يحبذها الشرع دون أن يعُدُّوها فرضاً واجباً على المكلـــف، وهي النوافل والمستحبات، يقول تعالى: ﴿... **فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ**...﴾[5]. أي من زاد على المقدار الواجب.

أمّا على الصعيد الاجتماعي فيقصد من التطوع: ذلك الجهد أو الوقت أو المال الذي يبذله الإنسان في خدمة مجتمعه دون أن يُفرض عليه، ودون انتظار عائد مادي في المقابل.

والـــتطوّع الآن ظاهـــرة إيجابـــية منتشرة في أغلب المجتمعات الإنـــسانية، وقـــد أصـــبحت مادة لتخصص علمي، يدرس دوافعها وآثارها ومعوقاتها وسبل تطويرها، ويرصد تجاربها وأساليبها.

---

(1) المصدر السابق، ص 302.
(2) المصدر السابق، ج 73، ص 367.
(3) المصدر السابق، ج 71، ص 285.
(4) ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب، ج4 ص 626.
(5) سورة البقرة، الآية: 184.

فإلى جانب المؤسسات الرسمية الحكومية، هناك منظمات ومؤسسات أهلية تطوعية تقوم بالعديد من الأنشطة والمهام في سبيل خدمة القضايا الإنسانية والاجتماعية، وفي إحصائية عن عقد الثمانينات، بلغ عدد المنظمات والهيئات غير الحكومية حوالي 50 ألف منظمة وهيئة في البلدان النامية فقط، تعمل في الميادين التنموية المختلفة، ويقدر عدد الأفراد المستفيدين من خدماتها حوالي (100 مليون نسمة).

وتعج المجتمعات الغربية بالكثير من المؤسسات والهيئات التي تعمل في مجالات الخدمة الاجتماعية والإنسانية داخل بلدانها وعلى مستوى العالم، ففي أمريكا وحدها هناك (32.000) مؤسسة خيرية بلغت ممتلكاتها عام 1989م أكثر من (138) مليار دولار. كما شارك في العمل التطوعي حوالي (93) مليون أمريكي يشكلون نسبة 30% من مجمل الأمريكيين، ينفقون سنوياً (20) بليون ساعة في العمل التطوعي لصالح الأطفال والفقراء والتعليم وقضايا أخرى[1]، كما يقدر معدل التبرع المالي لكل أمريكي (500) دولار سنوياً. وقبل سنتين تبرع الأمريكي" تيد تورنر" مؤسس (CNN) بثلث ثروته للمنظمات الإنسانية في الأمم المتحدة ويساوي مبلغ مليار دولار. وقال "تورنر" في بيان التبرع أن زوجته شاركته في القرار وفرحت به، ويعني بذلك أنها لم تعترض ولم تقل له: مالنا وللأمم المتحدة وليبق المليار دولار لأولادنا!

وكانت عائلة "روكفلر" قد تبرعت قبل نصف قرن بالأرض التي أنشئ عليها مبنى المنظمة الدولية الأمم المتحدة.

---

(1) زغبي، جيمس: أهمية العمل التطوعي عند المواطن الأمريكي، الشرق الأوسط 1997/5/5م.

وواضح أن لسيادة هذه الروح التطوعية الجماعية أثر كبير في تقـــدم المجتمع الأمريكي، فعندما زار "إلكسيس توكفيل" الكاتب الفرنـــسي الولايات المتحدة في منتصف القرن التاسع عشر لاحظ أن الأمـــريكيين يـــشاركون في كثير من الجمعيات التي ينظمونها لخدمـــة أغـــراض مجـــتمعاتهم: زراعـــية ومالية ودينية واجتماعية وجمعـــيات من كل نوع وفي كل اتجاه. وعلّق "توكفيل" على هذا معتـــبراً أن هـــذه الجمعـــيات تمثل خاصتين جديدتين في المجتمع الأمريكي ستؤديان إلى تقدمه بسرعة متفوقاً بذلك على أوربا، التي كانت تسيطر على العالم في ذلك الوقت. هاتان الخاصتان هما فن التنظـــيم الاجتماعـــي، والرغبة في العمل الجماعي الطوعي وغير الطوعي[1].

وجـــاء في تقرير حديث لجمعية فرنسا للشؤون الاجتماعية أن 10 ملايـــين ونـــصف الملـــيون فرنسي يتطوعون في نهاية الأسبوع للمشاركة في تقديم خدمات اجتماعية مختلفة تخص الحياة اليومية، من مجالات التربية والصحة والبيئة والثقافة والترفيه وغيرها.

وتتـــراوح أعمار 51% من المتطوعين ما بين الخامسة والثلاثين والتاســـعة والخمـــسين. ويمـــثل الطلبة نسبة 21% وتتراوح أعمار المتطوعين منهم ما بين 18 و25 عاماً[2].

وتنطلق الأعمال التطوعية في تلك المجتمعات من الدوافع الخيّرة الموجـــودة في أعمـــاق كـــل إنـــسان، ومن تقدم مستوى الوعي الاجتماعي، وبعضها لأغراض مصلحية، ومكاسب مادية.

---

(1) صالح، حمدي: المواطنون وجمعياتهم والتقدم، الحياة، 1419/9/29هـ.

(2) الشرق الأوسط، جريدة، 1998/3/31م.

حال مؤسساتنا الخيرية:

يفتــرض أن تــشهد مجتمعاتــنا الإسلامية إقبالاً على العمل التطوعي الاجتماعي أكثر من المجتمعات الغربية، لما في تعاليم ديننا الإســلامي الحنيف من حث كبير على نصرة المظلومين، ومساعدة الفقــراء، وخدمــة المحــتاجين، حتى عَدَّ القرآن الكريم ذلك مقياساً لصدق التدين، وأن من لا يهتم بمناطق الضعف في المجتمع، كاذب في تديــنه، وإن تظاهــر بطقوس الدين وشعائره، يقول تعالى: **﴿أَرَأَيْتَ الَّــذي يُكَذِّبُ بالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذي يَدُعُّ الْيَتيمَ * وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾**[1].

إضافة إلى الحاجات الكبيرة في مجتمعاتنا التي تتطلب الكثير من الجهــود والطاقات لتلبيتها ومعالجتها، فهناك حالات الفقر والعوز، ومشاكل العلاقات والخلافات الاجتماعية، وقضايا التعليم والتوجيه الــديني والسلوكي، وأمور البيئة، وأوضاع المحتاجين إلى الرعاية من مــسنين ومعوقين وأيتام، إلى سائر مناطق الحاجة والفراغ.. إن كل ذلــك يستلزم تعبئة الجهود والطاقات، وشحذ العزائم والهمم، لسدّ النواقص وتنمية المجتمع وتطويره.

وقــد تأسست بحمد الله في مجتمعنا مؤسسات خيرية اجتماعية كالــنوادي الرياضــية، والجمعــيات الخيريــة، ولجان كافل اليتيم، وصناديق الزواج الخيري، ومهرجان الزواج الجماعي، وهيئات ولجان للنــشاط الديني والثقافي، ومع التقدير والامتنان للجهود الطيبة التي يــبذلها القائمــون على العمل في هذه المؤسسات التطوعية، إلا أننا نلحــظ أن درجة الإقبال على العمل التطوعي ضمن هذه المؤسسات

(1) سورة الماعون، الآيات: 1 – 3.

لا يـــزال محدوداً وغير متناسب مع التوجه الديني لمجتمعنا والحاجات الملحة القائمة بالفعل.

وتتضح هذه الحقيقة في قلة انضمام عناصر جديدة لإدارات هذه المؤسسات، وضعف رفد لجانها ومجالات عملها بالطاقات والكوادر التي تطوّر مسيرة العمل، وتواصل تقدمه.

إن بعـــض الجمعـــيات الخيرية تواجه مأزقاً وحرجاً عندما يحين مـــوعد انتخاب أعضاء لإدارة جديدة، حيث لا يتقدم أحد لترشيح نفسه، أو لا يكون عدد المتقدمين كافياً للمواقع الشاغرة في الإدارة!!

إنه أمر مؤسف جداً حيث يعجّ مجتمعنا بالطاقات والكفاءات، والعناصر المؤمنة والواعية، فلماذا الإحجام عن التصدي للمسؤوليات الاجتماعـــية؟ ولمـــاذا نتقاعس عن دعم هذه المؤسسات الخيرية التي تشكل تجسيداً لمبادئ التعاون والتكافل والتراحم الاجتماعي؟

أعذار ومبررات:

يعـــتذر الـــبعض من الناس بانشغالاتهم والتزاماتهم الدراسية أو العملية والعائلية عن المشاركة في العمل الاجتماعي، لكن هذا العذر غالباً ما يكون وسيلة وتبريراً للتهرب عن المسؤولية، وإلاّ فإنّ العاملين فعلاً في المؤسسات الخيرية، ليسوا خالين من الالتزامات، ولا عاطلين عن العمل..

إن الإنـــسان إذا امـــتلك التطلع لثواب الله ورضوانه، وأدرك مـــسئوليته الدينية والاجتماعية، فإنه بحاجة إلى شيء من تنظيم وقته، وهندسة اهتماماته وأولوياته، فالكثيرون يضيعون أوقاتهم وجهودهم في أمـــور وقضايا ثانوية هامشية بينما يعتذرون بعدم الفرصة للقيام بواجباتهم الاجتماعية..

إن تنظيم الوقت، والحرص على الانضباط الدقيق يعطي للإنسان مجالاً كبيراً للإنجاز واستثمار حياته، والذين يقومون بالأعمال الكثيرة، ويحققون النتائج الهائلة في حركتهم ونشاطهم، لا يفعلون المعجزات، وإنما يحسنون الإدارة والتنظيم لأوقاتهم.

كما أن الاستعداد للتضحية وبذل الجهد في سبيل خدمة المجتمع أمر مطلوب يفرضه وعي الإنسان والتزامه الديني، وانتماؤه الاجتماعي.

وقد يعتذر البعض بما قد يسبب لهم العمل الاجتماعي من إشكاليات واعتراضات من قبل هذه الجهة أو تلك، لكن المؤمن الواعي يعرف أن الأجر والثواب يستلزم تحمل الأذى والمشاق، والمصلحون طوال التاريخ كانوا عرضة للاتهام والتجريح، لكن ذلك يصدر من الجهلة أو المغرضين، ولا يفتّ من عضد العاملين المصلحين.

إننا ندعو العناصر الواعية والمخلصة من أبناء المجتمع للالتفاف حول هذه المؤسسات الخيرية الاجتماعية، وأن ينخرطوا فيها، ويتحملوا أعباء إدارتها وتطويرها، وإذا كانت للبعض إشكالات على برامج هذه المؤسسات، فليمارسوا التصحيح والتغيير من داخلها، إنها توفر الفرصة المناسبة للتعاون على البر والتقوى، وللتدريب على اكتساب روح العمل الجمعي، وتكاتف القدرات والكفاءات، كما تساعد في معالجة الكثير من المشاكل والمصاعب التي تعيشها الفئات الضعيفة في المجتمع.

المجتمع واليتيم

- هـــل يمكـــن لليتيم أن يصبح عظيماً؟ أو يكون شخصاً ذا تأثير وفاعلية في المجتمع؟
- هل في اليتم دلالة على ضعف الرعاية والمقام عند الله؟
- ما هو الدور المنتظر من المجتمع تجاه الأيتام؟

الحالـــة الطبيعـــية أن ينشأ الولد في أحضان والديه، وفي كنف أسرته، التي تحوطه بالرعاية والعناية، وتغمره بالعطف والحنان، وتقوّمه بالإرشاد والتوجيه.

إلاّ أنّ الإرادة الإلهية قد تقتضي أن يفقد الإنسان أحد والديه أو كلاهما في صغره، فيصبح يتيماً.

ويذكـــر اللغويون لليتم معان كثيرة منها الهم والإبطاء والحاجة والانفـــراد. فـــيقال (هذا عمل يتيم) أي ليس له نظير فهو منفرد. وتطلـــق العرب على من فقد أباه يتيماً، ولا تطلق ذلك على من فقد أمـــه، هذا فيما يرتبط للبشر، أما في عالم الحيوان فتطلق العرب على من فقد أمه منها يتيماً، لأن الأم في عالم الحيوان تتحمل الرعاية دون الأب. وفي المـــصطلح الـــشرعي يطلق اليتيم على من فقد أباه قبل بلوغه.

حيث يخلف فقد الأب فراغاً حقيقياً لا يمكن سده، ذلك أنه في حالة فقد الأم فإن الأب يوفر الحاضنة ويسد النقص، فلا يصبح الابن محـــتاجاً للآخـــرين. مـــع الاعتـــراف بما للأم من خصوصية نفسية وعاطفية. أما مع فقد الأب فالولد معرّض للاحتياج والنقص.

ويلازم حالة اليتم عادة أمران:

- شعور بالنقص العاطفي، فاليتيم لا يتمتع بما يتمتع به الآخرون من عاطفة وحنان من قبل آبائهم.
- افتقاد بعض متطلبات الحياة واحتياجاتها من لوازم المعيشة ووسائل الترفيه وبعض الخدمات التي يقدمها الآباء غالباً.

كيف يفكّر اليتيم؟

إن الشعور الذي ينتاب اليتيم قد لا يكون مجرد شعور متخيل، بل واقع ملموس يعيشه ويعاني آثاره، غير أن هذا الواقع لا يصح الاستسلام والإذعان له، بل ينبغي مواجهته على الصعيدين النفسي والعملي.

أولاً: على اليتيم أن يسلّم بأنّ هذه الحالة هي قضاء وقدر إلهي، وهي للبشر امتحان وابتلاء من الله جل شأنه. ابتلاء لليتيم في كيفية تقبله لمشيئة الله تعالى، فهل يرضى ويسلّم لإرادة الله؟ أم يحمل روح الرفض والاعتراض؟ وابتلاء للناس في كيفية تعاملهم مع هذا اليتيم، فهل يقومون بما حثّهم الله عليه ندباً أو أوجبه فرضاً؟!

إذاً لا ينبغي لليتيم أن يشعر بالنقص في قيمته عند ربه فاليتم لا يدل على الدونية وضعة المقام عند الله. حيث يذكر التاريخ أن كثيراً من أولياء الله الصالحين كانوا أيتاماً، فنبي الله إبراهيم عليه السلام ولد يتيماً مات أبوه تارخ وهو في بطن أمه، ثم عاش في بيت عمه آزر وهو المشار إليه في الآية الكريمة **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾**[1].

(1) سورة الأنعام، الآية: 74.

ولأن عمه آزر قد ربّاه أطلق عليه أنه أبوه، وإلاّ فهو عمه، حيث لا يكون المشرك عابد الصنم أباً للنبي، كما هو قول أئمة أهل البيت عليهم السلام، ويؤيدهم في ذلك كثير من علماء أهل السنة. يقول الألوسي: «والذي عوّل عليه الجمع الغفير من أهل السنة أن آزر لم يكن والد إبراهيم عليه السلام، وادعوا أنه ليس في آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كافر أصلاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات والمشركون نجس»[1].

وكذلك نبي الله موسى عليه السلام الذي لا تجد دوراً لأبيه في القرآن أو نصوص التاريخ عند ولادته ونشأته، رغم المخاطر التي حفت بأمه أثناء ولادته، والملابسات التي اكتنفت نشأته.

ومن الواضح أن نبي الله عيسى عليه السلام ولد من غير أب. أما نبينا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أفضل الخلق، وأعزهم على الله، وأحبهم إليه، فقد مات أبوه وهو في بطن أمه، وماتت أمه وعمره ست سنوات، ثم عاش في كفالة جده عبد المطلب، ومن بعده عمه أبي طالب.

ثانياً: على اليتيم أن يفجر طاقاته وكفاءاته، حتى يحيل النقص كمالاً، ويصنع من الهمّ والمعاناة طاقة خلاّقة. وليس ذلك بعيداً فكثير ما تكون حالة الضعف والقصور دافعة نحو البذل والعطاء، فكم من يتيم معدم بزّ أقرانه من أبناء الأغنياء الموفورين. فمن العظماء الشهيد المعاصر السيد محمد باقر الصدر الذي لم تقعد به وفاة والده عن النبوغ والتفوق، فوصل إلى ما لم يصل إليه أقرانه الذين كانوا في ظل آبائهم. وكذلك العلاّمة الشهير الشيخ محمد

---

(1) الألوسي البغدادي، السيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن، ج 7، ص 194.

جواد مغنية الذي فقد أمه ثم فقد أباه في صغره، لكن ذلك لم يحل بينه وبين النجاح والتقدم على نظرائه وأنداده. إذاً علينا أن نشعر اليتيم أن بإمكانه أن يتفوق، ويصل إلى مراتب عالية إذا توجه إلى ذلك، وفجّر طاقاته الكامنة، وبلور قدراته ومواهبه، فاليتم لا يعدو أن يكـــون امتحاناً وابتلاءً من الله سبحانه وتعالى لليتيم وللناس من حوله.

مسؤولية المجتمع:

أولاً: دور الأم: تقوم الأم بدور كبير في توجيه اليتيم نحو تفجير طاقاته وكفاءاته، ورسالتنا إلى أم اليتيم: أن عليها أن تعوّض ابنها عما قـــد يشعر به من نقص في العاطفة والحنان، وأن تعكف على تربيته تـــربيةً صـــالحة جـــادة، وتساعده على أن يشقّ طريقه بنجاح، مع ملاحظـــة عـــدم الإفـــراط في الدلال بذريعة التعويض عن النقص العاطفـــي. فإهمال الرقابة، وإعطاء الحرية المطلقة، والتهاون بالأوامر والنواهـــي، وإغـــداق المـــال، قـــد يكون له نتائج سلبية جداً على شخـــصيته. إن من الضروري للأم أن توازن بدقة بين حقوق الطفل وواجـــباته، وأن تراعي ما يريده ابنها، وما هو محتاج إليه حقاً، فما كـــل ما يطلبه يحتاج إليه، وقد لا يرغب فيما يحتاج إليه. فليس كل إعطاء مصلحة، ولا كل حرمان مفسدة. وكم من أم كرّست حياتها، وضـــاعفت جهـــدها لرعاية أبنائها بعد فقد أبيهم، وصنعت منهم شخصيات ناجحة مؤثرة.

ثانـــياً: دور المجتمع: من أجلى مظاهر الإيمان في المجتمع رعاية المحـــتاجين، وفي طليعتهم الأيتام، فهم أشد حاجة للرعاية والاهتمام. حـــيث يحـــتاج الفقير إلى النفقات المادية الحياتية بينما تمتد حاجات

اليتـــيم لتـــشمل الجوانب المادية والعاطفية. والمجتمع الخاضع لمقاييس الـــدين والإيمـــان يـــشعر بالمسؤولية تجاه الأيتام ويتحسس آلامهم، وينسب للإمام عليه السلام قوله:

مـــا إن تأوهـــت مـــن شـــيء رزئت به

كمـــا تأوهـــت للأيـــتام في الصغر

وفي قول الله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ لاَ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾[1]، تنديد بالمجتمع المـــادي الجاهلي المعرض عن القيم والمبادئ الأخلاقية. وقد جعل الله تعـــالى إهمـــالهم لليتـــيم عـــنواناً لانحرافهم، وأول شيء يذكره من مساوئهم.

ومن أبرز مفردات مسؤولية المجتمع نحو الأيتام ما يلي:

1. توفير الحنان والعاطفة للأيتام، وعدم توجيه الإساءة إليهم حيث يـــولي الإسلام اهتماماً كبيراً للمشاعر والأحاسيس. قال تعالى: ﴿فَأَمَّـــا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ﴾[2] وإهمال الأيتام دليل على أن المجتمع غير صـــادق في تديُّنه قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّين * فَذَلِكَ الَّـــذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾[3] أي يهمله. وهذا الفعل يكشف عن قسوة القلب وتبلّد العاطفة، بينما قد لا يحتاج اليتيم شيئاً سوى المواساة القلبية، ليعوّض بعض ما فقده، قال الإمام علي عليه السلام: «ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يتيم ترحماً إلا كتب الله له بكل شعرة مرت يده عليها حسنة»[4].

(1) سورة الفجر، الآية: 17.
(2) سورة الضحى، الآية: 9.
(3) سورة الماعون، الآيتان: 1 - 2.
(4) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ج72، ص 4.

وقـــال عليه السلام في وصيته الأخيرة قبيل وفاته: «الله الله في الأيتام، فلا تُغبّوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم»[1] ويشير الإمام عليه السلام بهذا إلى الحاجة المادية «لا تغبوا أفواههم» كما يشير إلى الرعاية الشاملة الكاملة بعدم تضييعهم.

2. تلبـــية المتطلبات والاحتياجات المادية التي يحتاجونها. فقد تكون الاحتياجات سكناً ملائماً، أو ثياباً مناسبةً، أو طعاماً صحياً، أو مـــا شابه ذلك. يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «من عال يتيماً حتى يستغني عنه أوجب الله عز وجل له بذلك الجنة»[2].

وعـــنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وقال بإصبعيه: السبّابة والوسطى[3].

3. تـــوفير الإرشاد والتوجيه الثقافي والسلوكي، ولعله الأمر الأكثر أهمـــية، وأشـــد خطـــورة، فالـــولد ذكراً كان أو أنثى، بحاجة إلى التوجـــيه والإرشاد، في حداثة سنه، ومقتبل حياته، وخاصة فتـــرة المـــراهقة، ويفتـــرض أن يقوم الأب بشكل رئيس بهذا الـــدور تجاه أولاده، ومع غيابه يخشى على الأولاد من الضياع، وخاصـــة في هـــذا العصر، حيث تسود دواعي الإغراء والغواية والانحراف.

فعلى ذوي الأيتام خاصة كإخوانهم وأعمامهم وأخوالهم وسائر أقـــربائهم أن ينتبهوا لهذا الجانب المهم، فيصرفوا قسطاً من جهدهم واهتمامهم لتوفير التوجيه التربوي والسلوكي لهؤلاء الأيتام.

---

(1) الموسوي، الشريف الرضي: نهج البلاغة، كتاب 47.

(2) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ج72، ص4.

(3) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، حديث رقم 6005.

الولاية على اليتيم:

عند فقد الأب تكون الولاية على اليتيم منحصرة في جده لأبيه، وإذا لم يكن الجد موجوداً، فإن الولاية تكون للقيّم من أحدهما، وهو الذي أوصى أحدهما بأن يكون ناظراً في أمر الصغار من أولاده، ومع فقد الوصي تكون الولاية والنظر في شأن اليتيم للحاكم الشرعي، يتولاها بنفسه أو يعيّن أحداً ولياً على اليتيم.

أما الأم والجد للأم والأخ، فضلاً عن الأعمام والأخوال، فلا ولاية لهم على اليتيم، ما لم يكن هناك وصية لأحدهم بذلك، من قبل الأب أو الجد للأب، أو تعيين من قبل الحاكم الشرعي.

وحينما يكون على اليتيم ولي بعد أبيه وجده، فإن تصرفاته في شؤون اليتيم يشترط فيها لكي تكون نافذة شرعاً، أن تستهدف مصلحة اليتيم، أما إذا كان هناك ضرر على اليتيم، أو عدم مصلحة له، في أي تصرف من قبل الولي، فلا يكون نافذاً شرعاً.

ويلزم على ولي اليتيم «أن يصونه عما يفسد أخلاقه فضلاً عما يضر بعقائده»[1].

أموال اليتيم:

تحدث القرآن الكريم في آيات عديدة مؤكداً على حماية أموال اليتيم وحفظها وعدم التفريط فيها، وكما سبق فإن الولاية على أموال اليتيم بعد الأب والجد، تكون للوصي المكلف بذلك من قبل أحدهما، فإن لم يكن هناك وصي، فالولاية للحاكم الشرعي. هذا في فقه أهل البيت عليهم السلام، أما في المذهب الحنفي فالولاية على أموال الصغير تكون

(1) السيستاني، السيد علي: منهاج الصالحين – المعاملات، مسألة 1078.

للأب، ثم وصيه بعد موته، ثم وصي وصيه، ثم جده (أبو أبيه)، ثم وصي جـــده، ثم وصي وصيه، ثم الوالي، ثم القاضي أو وصي القاضي. وعند المالكية والحنابلة: الولاية بعد الأب لوصيه، ثم للحاكم، ولا تثبت الولاية المالية للجد والأخ العم إلا بإيصاء الأب. وقال الشافعية: إن الولاية بعد الأب للجـــد، ثم وصي من تأخر موته من الأب أو الجد، ثم القاضي أو نائبه. ولا ولاية لسائر العصبات كالأخ والعم، كما لا ولاية للام[1].

ولكـــون اليتيم صغيراً ضعيفاً فإن ذلك قد يغري بعض المتولين على أمواله من ضعاف النفوس والإيمان بإساءة التصرف فيها، لذلك يـــوجه القرآن الكريم الخطاب إلى هؤلاء الأولياء، محذراً لهم من هذا التعدي الخطير.

يقـــول تعـــالى: **﴿إِنَّ الَّذينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾**[2].

وفي آيـــة أخرى يقول تعالى: **﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ...﴾**[3].

ويقـــول تعـــالى: **﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ولاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾**[4].

ومن المناسب أن نشير هنا إلى أن المسؤولين والعاملين في لجان كافل اليتيم، مخاطبون بهذه الآيات الكريمة ومطالبون بالحفاظ على ما يـــردهم من أموال مخصصة للأيتام، وأن يهتموا بالدقة والاحتياط في صرفها لما فيه خير الأيتام ومصلحتهم.

---

(1) الزحيلي، الدكتور وهبة: الفقه الإسلامي وأدلته، ج5، ص426، 427.
(2) سورة النساء، الآية: 10.
(3) سورة الأنعام، الآية: 152.
(4) سورة النساء، الآية: 2.

لجان كافل اليتيم:

يمكـــن لكل فرد أن يقوم بواجبه تجاه يتيم واحد أو تجاه بعض الأيتام ويثاب على عمله. ولكن تشكيل المؤسسات، وتنظيم اللجان والهيـــئات، الـــتي تعمل على تلبية حاجات الأيتام، وتوفير الخدمات المناسبة لهم، يساعد على ضم الجهود إلى بعضها، مما يؤدي إلى زيادة كفـــاءة العمـــل، وتحقيق الأهداف بشكل أفضل. ولهذا العمل قيمة معنوية كبيرة في حل مشاكل الأيتام.

إن وجـــود لجـــنة تهتم بالأيتام، يعني وجود جهة توجه الأفراد والتجمعات نحو هذه الفئة، وتحث مختلف الشرائح على دعمها. وقد رأيـــنا أن لجـــان كافل اليتيم في منطقتنا استطاعت أن تطور وتنوع الخدمات التي تقدم للأيتام. فمعظم هذه اللجان تقدم مساعدات مالية شهرية، وأخرى طارئة، فضلاً عن الإعانات الصيفية والشتوية. وتقوم بصيانة المساكن وغير ذلك.

كمـــا أن وجـــود لجنة لكفالة الأيتام هو طمأنة للأيتام. فهم يشعرون أن ثمة جهة ومؤسسة ترعاهم، وتتابع شؤونهم، وهذا في حد ذاته مواساة معنوية كبيرة.

بالطـــبع فـــإن الجهود تتطور وتتكامل إذا انضمت إلى بعضها. ووجود لجنة يعني ضم كافة الطاقات والكفاءات التي يمكن أن تسهم في إنجـــاح هذا المشروع، مما يعني إدخال عنصر التخطيط والمشورة وهذا إرساء لأسلوب مهم في العمل.

تقدير وتذكير:

في الوقت الذي نعرب فيه عن تقديرنا للدور الكبير الذي تقوم بـــه لجان كافل اليتيم، حيث ملأت فراغاً مهمًّا، وتحملت عن المجتمع

مـــسؤولية عظيمة، فإننا نذكّر هذه اللجان بضرورة مضاعفة الجهد، وتطويـــر النـــشاط، خاصة فيما يرتبط برفع كفاءة الأيتام، وتقدمهم علـــى صـــعيد التعلـــيم وبناء القدرات والمهارات، بمتابعة مسيرتهم الدراســـية، وتشجيعهم على التميز والتفوق، ومساعدتهم في تحصيل فرص الدراسات الجامعية والعليا.

ومن ناحية أخرى، الاهتمام بإحاطتهم بأجواء الرعاية التربوية، والتوجـــيه الـــسلوكي، بوضـــع خطط وبرامج للتوعية والإرشاد، وملاحظـــة ما قد يطرأ على حياتهم وسلوكهم من نواقص وثغرات، من أجل المعالجة والإصلاح.

ونأمـــل أن يتفاعل المجتمع أكثر مع هذه اللجان (كافل اليتيم) بـــدعمها مالـــياً، وبرفدها بالعناصر المخلصة الكفوءة، والاقتراحات المفيدة البناءة، لتقوم بواجبها على خير وجه.

وكـــان الله في عـــون كل يتيم حتى يتجاوز محنة يتمه بسلامة ونجـــاح، ووفـــق الله المؤمـــنين لـــتحمل مسؤولياتهم تجاه الأيتام في مجـــتمعهم، وأمدّ الأخوة الأعزاء العاملين في لجان كافل اليتيم بالمزيد من توفيقه ورضاه.

التزويج والمساعدة على الزواج

في ســـورة الـــنور، بعد أن تحدث القرآن الكريم عن الضوابط والحـــدود في الـــتعامل بين شقّي المجتمع، الرجال والنساء، وضرورة توفير أجواء العفة والاحتشام، لصيانة أخلاق وأعراض المجتمع، يوجه الله تعـــالى خطابه إلى المؤمنين، يأمرهم بالقيام بمهمة التزويج لعزّابهم، مـــن الذكور والإناث، وفي ذلك إشارة إلى دور الزواج في تكريس العفـــة، والالتـــزام بالـــضوابط والتعالـــيم الأخلاقية، يقول تعالى: **﴿وَأَنْكِحُـــوا الأَيَامَـــى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**(1).

﴿وَأَنْكِحُـــوا﴾ أي زوِّجوا، وهو خطاب للمجتمع بأن يزوِّجوا العـــزاب، حـــيث لم يخاطب العزاب هنا بأن يتزوجوا، وإنما خاطب الناس أن يزوِّجوهم.

ذلك لأن الزواج - غالباً - ليس قضية فردية، يقوم بها الطرفان المعنيّان فقط، وبمعزل عن الارتباطات والتأثيرات الاجتماعية، كسائر الأمور من بيع وشراء وإجارة.. بل هو مسألة لها أبعادها وارتباطاتها المؤثرة والمتأثرة بأكثر من جانب اجتماعي.

كما أن من يريد تأسيس حياته العائلية، وخاصة لأول مرة، قد يحتاج إلى دعم وعون مادي ومعنوي، لمساعدته على إنجاز هذه المهمة وإنجاحها.

من هنا يتوجه الخطاب إلى المجتمع **﴿وَأَنْكِحُوا﴾**.

---

(1) سورة النور، الآية: 32.

و﴿**الأَيَامَى**﴾ جمع (أيِّم)، على وزن (قيِّم)، وتعني الإنسان الذي لا زوج لــه، رجــلا كــان أو امرأة، وإن كان قد كثر استعمال هذه الكلمة في الرجل إذا ماتت امرأته، وفي المرأة إذا مات زوجها، لكنها كما نص عليه اللغويون: تشمل كل ذكر لا أنثى معه، وكل أنثى لا ذكر معها بكراً أو ثيِّبًا.

و﴿**مِــنْكُمْ**﴾ أي من الأحرار، حيث كان في تلك المجتمعات عبيد وإمــاء مملوكون، فأمر الله تعالى بتزويج الأحرار، ثم عقَّب على ذلك بالأمر بتزويج العبيد أيضاً، المؤهلين للزواج ذكوراً وإناثاً، ﴿**الصَّالِحِينَ**﴾ أي المؤهلين للزواج ﴿**مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ**﴾.

ذلــك أن العبــيد المملــوكين هــم بشر أيضاً، لهم غرائزهم وشــهواهم، وبقــاؤهم عــزّاباً ثغــرة في أمــن المجتمع الأخلاقي والاجتماعي.

وإذا كــان بعــض الأشخاص أحراراً أو عبيداً، يعانون من الــضعف الاقتصادي، فإن زواجهم قد يكون دافعاً لهم للمزيد من العمــل والإنــتاج، كما أن الله تعالى سيبارك لهم ويوسع عليهم، بتحملهم لمسؤولياهم العائلية والاجتماعية ﴿**إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾.

الإعفاف:

الإعفــاف لغةً: فعل ما يحقق العفاف للنفس أو للغير، كما في تاج العروس، ولسان العرب، والمصباح.

واصــطلاحاً يقصد به الفقهاء: تزويج المحتاج للزواج، لتجنيبه الوقوع في الحرام.

وقد ناقش الفقهاء المسلمون من مختلف المذاهب الإسلامية، هذه المـــسألة، على الوجه التالي: هل يجب على الإنسان، إذا كان قادراً متمكـــناً، أن يوفِّـــر تكاليف الزواج لمن يحتاج إلى الزواج، ممن تجب نفقـــته عليه، كوالديه، وأولاده؟ أم أن ذلك مستحب ومندوب إليه فقط، دون أن يرقى إلى مستوى الوجوب؟

المشهور عند فقهاء الشيعة: أنه لا يجب إعفاف من تجب النفقة له، ولداً كان أو والداً، بتزويجٍ، أو إعطاء مهر، أو تمليك أمة، أو نحو ذلك، مما يناسب حاله في الإعفاف[1].

ونقل عن بعض فقهائهم القول بالوجوب، للأب وإن علا، لأن ذلـــك مـــن أهـــم مصاديق المصاحبة بالمعروف، المأمور بها في الآية **﴿...وَصَـــاحِبْهُمَا فِـــي الدُّنْـــيَا مَعْرُوفًا...﴾**[2]، ولأنه من وجوه حاجاته المهمة، فيجب على الابن القيام به، كالنفقة والكسوة[3].

كمـــا أفتى فقهاء معاصرون من الشيعة: بأن ذلك مطلوب على سبيل الاحتياط، وهو احتياط استحبابي، قال السيد السبزواري: «لا يجـــب إعفـــاف من وجبت نفقته ولدا كان أو والدا... وإن كان أحـــوط مـــع حاجته إلى النكاح، وعدم قدرته على التزويج وبذل الصداق خصوصاً في الأب»[4].

وذكر نحو ذلك السيد السيستاني[5].

---

(1) النجفـــي، الـــشيخ محمـــد حـــسن: جواهر الكلام، نفقة الأقارب، ج 11، ص 242.

(2) سورة لقمان، الآية: 15.

(3) البحراني، الشيخ يوسف: الحدائق الناضرة، ج 25، ص 121.

(4) السبزواري، السيد عبد الأعلى: مهذب الأحكام، ج 25، ص 321.

(5) السيستاني، السيد علي: منهاج الصالحين، ج 3، ص 134.

وإذا كـــان الإعفاف حتى للأب غير واجب على المشهور عند فقهـــاء الـــشيعة، وإن كان هناك منهم من يذهب إلى وجوبه. فعلى العكـــس من ذلك رأي فقهاء أهل السنة، حيث «يلزم الولد إعفاف الأب والأجداد على المشهور»[1].

قـــال الدكتور الزحيلي: على المشهور يلزم الولد ذكراً كان أو أنثـــى إعفـــاف الأب والأجـــداد، لأنه من وجوه حاجاتهم المهمة، كالنفقة والكسوة، ولئلا يعرضهم للزنا المفضي إلى الهلاك، وذلك لا يلـــيق بحرمة الأبوة، وليس من المصاحبة بالمعروف المأمور بها شرعاً، والإعفـــاف: بأن يعطيه مهر امرأة حرة تعفه، ويجب تجديد الإعفاف إذا ماتت الزوجة، أو انفسخ النكاح، وكذا إذا طلق بعذر في الأصح. وإنما يجب الإعفاف بشرطين:

الأول: لمن كان فاقد المهر في الواقع، ولا يلزم الإعفاف إذا كان الأب قادراً على المهر بالكسب.

الآخر: للمحتاج إلى الزواج، بأن تتوق نفسه إلى الوطء، وإن لم يخف الزنا[2].

لكـــن الراجح عند الحنفية أنه لا يلزمه سواء وجبت نفقته أو لم تجب[3].

التزويج من الزكاة:

يـــصح أن يـــصرف من أموال الزكاة لتزويج المؤمنين المحتاجين للزواج، مع ضعف وضعهم الاقتصادي، وحتى غير المؤمن الملتزم يصح

(1) الخطيب، الشيخ محمد الشربيني: مغني المحتاج، ج 3، ص 211.
(2) الزحيلي، الدكتور وهبة: الفقه الإسلامي وأدلته، ج 7 ص 34.
(3) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، الموسوعة الفقهية، ج 5، ص 258.

مساعدته من الزكاة للزواج، من سهم المؤلفة قلوبهم، وسبيل الله.

ولا يجب إعلام الفقير المحتاج إلى الزواج أن المدفوع إليه زكاة، بـــل لو كان ممن يترفع ويدخله الحياء منها، وهو مستحق، يستحب دفعها إليه على وجه الصلة ظاهراً، والزكاة واقعاً[1].

ويجـــوز للـــوالد أن يدفـــع زكاته إلى ولده للصرف في مؤونة التزويج، وكذا يجوز للولد أن يصرف زكاته في تزويج والده[2]. بناءً علـــى عدم وجوب الإعفاف، أما على القول بوجوبه فلا يصح أن يدفع من زكاته لنفقة واجبة عليه.

التزويج من الخمس:

حـــيث ينقـــسم الخمس في مصرفه إلى نصفين: نصف للسادة الهاشمـــيين، المنتـــسبين إلى هاشـــم بالأبوة، علويين، أو عقيليين، أو عباســـيين، والنصف الآخر للإمام المعصوم عليه السلام، فإن من مصارف النـــصف الأول، تـــزويج الـــسادة المحـــتاجين للزواج، مع ضعفهم الاقتصادي. كما أنه يجوز الصرف من النصف الآخر، الراجع للإمام عليه السلام، من أجل تزويج المحتاجين للزواج من المؤمنين، بعد الاستئذان من المرجع الديني.

البذل والصدقة:

مساعدة المحتاجين للزواج تُعَدُّ من أفضل موارد البذل والصدقة، لأنهـــا تعالج حاجة ماسة حقيقية، وتسهم في تعزيز أمن المجتمع، وسد

---

(1) اليزدي: السيد محمد كاظم، العروة الوثقى، الزكاة، أصناف المستحقين، مسألة رقم 12.

(2) المصدر السابق، أوصاف المستحقين، مسألة رقم 17.

ثغرات الفساد والانحراف، كما أنها استجابة للحث الإلهي الديني على الإنكـــاح والتزويج، وأن ذلك من أحب الأمور إلى الله تعالى، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله عز وجل من التزويج»[1].

صندوق الزواج الخيري:

إنـــشاء صـــندوق خيري لمساعدة المحتاجين للزواج، هو أفضل أســـلوب لتحقـــيق وإنجاز هذا المطلب الديني الاجتماعي المهم، فعبر الـــصندوق تنتظم أمور هذا السعي المبارك، وتدرس حالات الأفراد، وتقـــدر لهـــم احتياجاتهم، والعمل الجمعي أنفع وأبرك من الأعمال الفردية. فينبغي للمؤمنين أن يبادروا إلى إنشاء هذا المشروع المهم في كـــل مدينة وقرية، وأن يدعم الناس الصناديق القائمة مادياً ومعنوياً، لتؤدي وظيفتها المقدسة على أفضل وجه.

إن الدور الذي تقوم به صناديق الزواج الخيري في المنطقة دور مهم يستحق الشكر والتقدير.

حيث يصرف القائمون على إدارتها الكثير من جهدهم ووقتهم من أجل مساعدة الراغبين في الزواج والمحتاجين إلى المساعدة.

أرجـــو الله تعـــالى لهم مزيد الأجر والثواب، ولعملهم التوفيق والتقدم، ليتمكنوا من رفع مستوى المساعدة والدعم وتوسيع رقعتها.

وآمل أن يكثّفوا جهدهم لاستنهاض همم أهل الخير لدعم هذه المشاريع المباركة.

---

(1) الحـــر العاملـــي، محمد بن الحسن: وسائل الشيعة، ج 20، ص 14، حديث رقم 2490.

كما أرجو من المجتمع المزيد من التفاعل والتجاوب مع صناديق الزواج الخيري فهي خط دفاع مهم عن أمن المجتمع الأخلاقي.

أحاديث عن التزويج:

- عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أدرك له ولد، وعنده ما يزوجه فلم يزوجه، فأحدث فالإثم بينهما»[1].

- وفي روايـــة أخرى عن ابن عباس عنه ﷺ: «من بلغ ولده النكاح وعنده ما ينكحه فلم ينكحه ثم أحدث حدثاً فالإثم عليه»[2].

وعنه ﷺ: «حق الولد على والده أن يحسن اسمه، ويزوجه إذا أدرك، ويعلمه الكتابة»[3].

- عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «من زوّج أعزباً كان ممن ينظر الله عز وجل إليه يوم القيامة»[4].

- عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام: «ثلاثة يستظلون بظـــل عـــرش الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله، رجل زوج أخاه المسلم، أو أخدمه، أو كتم له سراً»[5].

---

(1) الطبرسي، الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج7، ص 245.

(2) الهندي، علي المتقي: كنـــز العمال، حديث رقم 45337.

(3) المصدر السابق، حديث رقم 45191.

(4) الكليني: محمد بن يعقوب، الكافي، ج 5، ص 331.

(5) الحر العاملي، محمد بن الحسن: وسائل الشيعة، حديث رقم 24994.

المصادر

1. القرآن الكريم.
2. ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب.
3. الألوسي البغدادي، السيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن، الطبعة الرابعة 1985م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
4. البحراني، الشيخ يوسف: الحدائق الناضرة.
5. البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري.
6. جريدة الحياة.
7. جريدة الشرق الأوسط.
8. الحـــر العاملـــي، محمد بن الحسن: وسائل الشيعة، الطبعة الأولى 1993م، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت.
9. الخطيب، الشيخ محمد الشربيني: مغني المحتاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
10. الزحيلـــي، الدكتور وهبة: الفقه الإسلامي وأدلته، الطبعة الثالثة 1989م، دار الفكر – دمشق.
11. السبزواري، السيد عبد الأعلى: مهذب الأحكام.
12. السيستاني، السيد علي: منهاج الصالحين.
13. الطبرسي، الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن.
14. الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، دار الأضواء 1985م، بيروت.
15. اليزدي، السيد محمد كاظم: العروة الوثقى.

16. المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، الطبعة الثانية 1983م، دار التراث العربي، بيروت.
17. الموسوعة الفقهية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت.
18. الموسوي، الشريف الرضي: نهج البلاغة، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، الطبعة الأولى 1967م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
19. النجفي: الشيخ محمد حسن، جواهر الكلام.
20. الهندي، علي المتقي: كنز العمال، الطبعة الخامسة 1985م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

تعريف المؤلف

- سماحة الشيخ حسن بن موسى بن الشيخ رضي الصفار.
- ولــد سنة 1377هـ في القطيف من المنطقة الشرقية في المملكة العــربية السعودية، بعد دراسة القرآن الكريم التحق بمدرسة زين العابدين الابتدائية ثم مدرسة الأمين المتوسطة بالقطيف.
- بــدأ دراسة العلوم الدينية على يد العلماء في القطيف، كما بدأ ممارسة الخطابة الدينية سنة 1388هـ الموافق 1968م.
- هاجر إلى النجف الأشرف (العراق) لطلب العلم سنة 1391هـ الموافق 1971م ثم انتقل إلى حوزة قم (إيران).
- التحق بمدرسة الرسول الأعظم بالكويت.
- من رواد الصحوة الإسلامية بالمنطقة.
- رعــى تأســيس عدد من المراكز والمؤسسات الدينية والثقافية في أنحــاء العــالم (السعودية – سلطنة عمان – سوريا – إيران – الولايات المتحدة الأمريكية).
- له مشاركات إعلامية عبر القنوات الفضائية والصحافة.
- شــارك في الكثير من المؤتمرات الإسلامية من بينها مؤتمر الشباب المــسلم في أمــريكا، ومؤتمر الوحدة الإسلامية في إيران، واللقاء الــوطني للحــوار الفكري في المملكة العربية السعودية، ومؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية في مملكة البحرين.
- صدر له أكثر من سبعين كتاباً ترجم بعضها إلى اللغات الأجنبية.

- يعد سماحة الشيخ من ألمع الوجوه الثقافية التي تؤمن بالحوار والانفتاح على الآخر وحرية المعتقد والتعددية والوفاء والارتقاء بمفهوم الوطن والمواطنة وكذلك في عقلنة الخطاب الإسلامي وصولاً إلى لم الشمل وجمع الكلمة.